AL-MA'RIFAH
Jurnal Budaya, Bahasa, dan Sastra Arab
(Journal of Arabic Culture, Language, and Literature)

Vol. 16, No. 2, October 2019, 165–178
P-ISSN: 1693-5764
E-ISSN: 2597-8551

التعليم العربي في نيجيريا: بين مؤامرات التدمير ومجهودات التعمير

Salih Muhammad Jum'ah-Alaso*
Kwara State University, Malete, Nigeria

Arabic Education in Nigeria: Between Plots of Destruction and Reconstruction Efforts

E-Mail Address
smjalaso@gmail.com
***Corresponding Author**

Abstract
The Arabic language in the Nigerian society is of paramount importance as the language of religion, history, culture, economy, politics, international relations, and others. The current researcher focused his attention on the growth of the Arabic language and its development in Nigeria since its entry and the recognition and respect and progress in the times of the Islamic Caliphate in Sokoto, and ignored the contempt and contempt and delay in the days of British colonial, and then the love, attention, and development of the Arab scientists Nigerian Her enthusiasts. The researcher approached the historical recovery method by retrieving the past of the Arabic language in these countries and their effects. In gathering information, the researcher used the interview and the electronic inquiry method with or without yes, especially when talking about the problems facing Arab education in Nigeria. The findings of the researcher include the following: (1) Arabic is the first language of civilization seen by the Nigerian people and educated by the culture of writing and reading at a time when the two were a kind of magic and mastered by very few people in society. (2) Nigerian Muslims are very interested in Arab education and have spent every Gal and Nafis to develop it from the first era to the present. The research concluded with some suggestions and recommendations towards the development of Arab education in Nigeria.

Keywords
Arabic language education;
development;
Nigerian society

المقدمة

كانت ما يطلق عليها "نيجيريا" اليوم ممالك وإمبراطوريات متفرقة، وجزء من المنطقة التي اصطلحت العرب عليها بلاد السودان أو بلاد التكرور. ومن هذه الممالك: مملكة برنو- وكانم التي كانت تقع إلى الشرق من برنو الحالية في منطقة بحيرة تشاد، وهي من أقدم الممالك وأوسعها في غربي إفريقيا ووسطها في العصور الغابرة. ومنها سلطنة سكتو التي أسسها الشيخ عثمان بن محمد فودي المولود في أوائل ١١٦٨ه / ١٧٥٤م وقد أسست هذه الخلافة في سكتو سنة ١٨٠٤م ودامت حتى ١٩٠٣م. و منها كذلك مملكة أويو التي

Available online at
http://journal.unj.ac.id/unj/index.php/jba/index
DOI: https://doi.org/10.21009/almakrifah.16.02.06

Copyright © 2019 The author
This article is distributed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License

تم تأسيسها في المنطقة الشمالية لبلاد اليوربا الواقعة بين الجنوب الغربي لنيجيريا ونهر النيجر. وكانت إمبراطورية أويو واحدة من الحكومات الكبرى في أفريقيا الغربية، وقد مرت بعد تأسيسها في القرن الرابع عشر بمراحل مختلفة من قوة وضعف، ونهوض مرة أخرى فانحطاط ثم انقراض. وهناك ممالك أخرى في المنطقة أمثال مملكة إفي التي كانت منبع قبيلة يوربا، ومملكة بينين، واتشكيرى، وإيبو وغيرها. وبمجيء الاستعمار البريطانى قسمت هذه الممالك إلى محمية شمالية، ومحمية جنوبية عام ١٩٠٠م، وظل الأمر كذلك حتى عام ١٩١٤م حيث وحد الاستعمار المحميتين وأصبحتا دولة واحدة تحت الاسم "نيجيريا". ثم قسمت البلاد فيما بعد إلى ثلاثة أقاليم يتميز كل منها بثقافتها وإدارتها السياسية، والأقاليم هي الإقليم الشمالي، والإقليم الغربي، والإقليم الشرقي، وفي عام ١٩٥٥م أوجدوا إقليما رابعا مقتطعا من الغرب والشرق وسمي بالإقليم الأوسط (*middle belt*). ولم يحدث بعد حصول البلاد على الاستقلال عام ١٩٦٠ أي تغيير، لا في اسمها ولا في حدودها ولا في تقسيمها حتى عام ١٩٦٧ حيث قسمت إلى اثنتي عشرة ولاية. تتألف نيجيريا من قبائل مختلفة لا تقل عن مائتين وخمسين قبيلة، أشهرها الهوسا والإيبو واليوربا. وعدد سكانها حسب إحصاءات عام ٢٠٠٦م مائة وأربعون مليونا وثلاثة آلاف وخمسمائة واثنان وأربعون نسمة (١٤٠٣٠٠٥٤٢). وأهم دياناتها الإسلام، والمسيحية، والوثنية، ولغتها الرسمية الإنجليزية.

والتعليم العربي هو ذلك النظام التعليمي الذي لغته الرسمية العربية لتعليم العلوم المختلفة مثل الدراسات الإسلامية من قراءة القرآن الكريم، وحديث، وتوحيد، وفقه، وغيرها، والدراسات الأدبية واللغوية من نصوص أدبية، ونقد، وبلاغة، ونحو، وصرف، وغيرها، وعلوم أخرى تدرس إضافة إلى السابقة من منطق، وفلسفة، وتاريخ، وغيرها. وقد جاء هذا النوع من التعليم إلى نيجيريا بالإسلام ومر بمراحل مختلفة تميز حينا بتقدم وتطور ونماء حيث ازدهرت نباته، وأثمرت أشجاره، وجنيت فوائده من جميع النواحي وكان أصحابه من أعزاء البلاد وغلبة القوم. ثم دارت عليه أزمان أخرى كاد أن يدس في التراب حين تآمر المستعمرون على القضاء عليه واستئصاله نهائيا وإبدال التعليم الغربي المسيحي به وذلك بسياسة تعليمية غير مشجعة لا للعربية ولا للعلماء العاملين في ميدانها ولا للطلاب الشاربين من معينها. وكانت نتيجة لذلك أن ركدت نشاطات هذا التعليم وكسدت تجارته وكاد أن يكون نسيا منسيا لولا أن أنقذته جهود العلماء الذين دفعهتم الحماسة الدينية إلى الذود عنه وسعوا ليل نهار جاهدين لإنهاضه وتطوير أساليبه وتجديد مناهجه حتى وجد له مجلس في التعليم الغربي الإنجليزي، وحتى وصل إلى ما وصل إليه اليوم. كل هذا وغيره مما جاءت هذه المقالة لمناقشته.

نتائج البحث والمناقشة

أ. التعليم العربي في نيجيريا خلفية تاريخية

يرجع تاريخ التعليم العربي في نيجيريا إلى العهد الأول الذي بدأ فيه الدين الإسلامي خطوته الأولى. وقد كانت العلاقات التجارية هي التي وضعت الحجر الأساسي له كما صرح بذلك غلادنثي: "من المعروف أن هناك علاقة تجارية قديمة بين البلاد التي كان العرب يطلقون عليها اسم المغرب وبين البلاد الواقعة

جنوب الصحراء الكبرى. وكان ذلك قبل القرن السابع الميلادي، أي قبل دخول الإسلام في القارة الأفريقية". وما أسهم به الاتصال التجاري في انتشار اللغة العربية وتعليمها كان في إطار محدود جدا لا يتجاوز الأسواق الرئيسية في المدن التجارية، ولم يكن ليعطي مجالا واسعا للتوسع وإنما يوجد أثره في إدخال كلمات وتعابير عربية واندماج بعضها في اللغات المحلية خاصة لغة الهوسا ومنها إلى لغات أخرى مثل الفلانية والنوفية واليوربوية وغيرها.

وتحديد زمن دخول الإسلام إلى نيجيريا لا يمكن الجزم به، إذ يختلف ذلك من منطقة إلى أخرى. يقول المؤرخون إن أول منطقة دخلها الإسلام هو مملكة كانم/ برنو في القرن الحادي عشر الميلادي، ودخل في كنو في القرن الرابع عشر الميلادي، وإلى بلاد هوسا وبلاد نوفي في القرن السابع عشر الميلادي. بينما يعود تاريخ دخوله بلاد يوربا إلى القرن الخامس أو السادس عشر الميلادي حسب آراء المؤرخين.

وبدخول الإسلام في المنطقة بدأت البذور الأولى للتعليم العربي تنبت وتنمو، إذ المعلوم أن الإسلام يحل معه التعليم العربي والإسلامي إلى أينما يتجه، ويوجب على كل مسلم أن يتعلم على أقل تقدير ما يكفيه لأداء فرائضه من صلاة وغيرها، فيتعلم بعض الآيات القرآنية وبعض الاصطلاحات الدينية. وأول محطة نزل فيه الإسلام والتعليم العربي هو كانم/ برنو في الشمال الشرقي، ثم في كنو وسكتو في الشمال الغربي، وبلاد نوفي وإلورن في الشمال الأوسط، وهكذ إلى أن وصل إلى بلاد يوربا في الجنوب الغربي، وكانت مناطق الجنوب الشرقي للبلاد أقل حظا في هذه الناحية وذلك أن الإسلام وتعاليمه فيه لا يعرف لهما وجه ولا كيان.

وبدأ التعليم العربي جولته الأولى في كانم/برنو بتعليم قراءة القرآن الكريم وحفظ شيء منه، وكان الدعاة والتجار هم الذين بدأوا التعليم بتلقين معتنقي الإسلام والصيان قراءة القرآن الكريم، ثم تعلم الكتب الدينية المكتوبة باللغة العربية بترجمتها إلى لغاتهم المحلية، ثم يتعلم بعضهم القراءة والكتابة باللغات المحلية باستخدام الحروف العربية. وبهذا التعليم تطورت العربية وانتشرت في جميع المناطق التي تديرها المملكة. هذا وكان هناك عاملان رئيسان سببا ذلك التطور والانتشار، أولهما إعتناق سلاطينهم ووزرائهم وعامتهم للدين الإسلامي مما جعل العربية محبوبة لديهم لأنها لغة دينهم الذي يدينون به. وثانيهما وجود قبيلة داخل المملكة تسمى "شُوَا" على حدود تشاد في منطقة غمبورو/ إنغالا، وهذه القبيلة تتكلم بالعربية الدارجة الشبيهة بالدارجة السودانية

ومن أسبق المناطق التي تطور فيها التعليم العربي منطقة سكتو حيث تأسيس الدولة الإسلامية التي كانت لها دواوين، ومحاكم شرعية، وعدد كبير من المثقفين الذين كانو يقومون بإدارة تلك الدواوين. ونظرا إلى أن العربية لغة العلم والحضارة والتقدم فلا غرو أن تهتم هذه الدولة بالعربية، وأن يتثقف أبناؤها بها، فقد قامت هي خير قيام لتشجيع العلماء على فتح أبواب بيوتهم للطلاب الراغبين في التفقه الديني وفهم اللغة العربية، وتجاوب بإنشاء الكتاتيب والدهاليز في بيوتهم، فكثرت المدارس وتعددت المجالس العلمية لا في سكتو فحسب بل وفي ولايات أخرى كذلك. ومن الصعب جدا معرفة عدد تلك المدارس

لأنها لم تكن تابعة لأي نظام رسمي موضوع، أو أية مؤسسة معروفة، ولكن يمكن تصور كثرتها من كثرة العلماء والفقهاء الذين عاشوا في ذلك العصر.

وكانت أكثر المدارس شيوعا في تلك الآونة الكتاتيب القرآنية التي أنشأها العلماء في المدن والقرى والحارات، وهي بمثابة الحضانة المدارس الابتدائية في النظام التعليمي الغربي. وكان الهدف منها تعليم الأطفال القرآن الكريم سردا وحفظا، ويحضرها الصبيان صباحا ومساء كل يوم عدا الخميس والجمعة، فإنهما للاستراحة، وتتراوح أعمار التلاميذ فيها بين الثالثة والثانية عشرة. وقد لاحظ أحد مؤرخي التعليم أن في القرن التاسع عشر صار سكتو المركز الرئيس للتعليم، وأن لُوغَارْدْ (أحد قواد الاستعمار البريطاني) قدّر عدد المدارس الإسلامية الابتدائية (المدارس القرآنية) في شمال نيجيريا في بداية هذا القرن بما لا يقل عن عشرين ألف مدرسة كان يحضرها حوالي مائتين وخمسين ألف طالب.

وإلى جانب المدارس القرآنية هناك مجالس العلماء (المدارس الدهليزية للكبار) التي تقام في بيوت العلماء ومراكز أخرى يفد إليها كل من له رغبة في التقدم في في العلوم الدينية واللغويةبين الكبار الذين قد تعلموا في الكتاتيب. ونظام التعليم فيها أن المدرس هو الذي يختار للدارسين ما يراه مناسبا من الكتب الإسلامية والعربية مما في ذلك الكتب اللغوية والأدبية وغيرها.

وكانت نتيجة هذه المدارس والمجالس أن كثر العلماء المثقفون بالعربية، ونشطت حركة التدوين والـتأليف وقرض الأشعار، وأصبح عصر دولة سكتو يعرف في تاريخ الأدب العربي النيجيري بعصر النهضة العلمية للتعليم العربي بجميع أنواعه، وإن لم تفتح الحكومة يومئذ مدارس نظامية على النظام المدرسي المعروف اليوم، ولكن تشجيعها للعلماء والمتعلمين واضح وضوح الشمس، إذ إن قوادها ووزراءها وقضاتها كانوا من المثقفين بالعربية. ويقول غلادنثي مبينا تشجيع تلك الحكومة للعربية.

وكانت الحكومة تشجع ذلك التعليم وتقوم بنشره. ونستطيع أن نقول إن الذين كانوا في ذلك العهد يتكلمون بالعربية أو على الأقل يفهمونها ويقرؤونها هم الطبقة الحاكمة من الأمراء والحكام والقضاة وأصحاب الدواوين، هؤلاء يستعملونها كلغة ثقافية ولغة إدارية، يكتبون بها اللوائح والقرارات الحكومية، وكذلك السجلات والرسائل الرسمية بوغير الرسمية .... (Ozighi & Ocho, 1981).

وليس من المبالغ فيه القول إن عصر الجهاد السكتوي عصر ذهبي للغة العربية في نيجيريا وخاصة في شمالها، حيث أنشئت تآليف كثيرة، وكان من المتوقع استمرار الوضع على تلك الحال أو التطوير عليه في العصور اللاحقة إلا أن الحال ينطبق عليها قول أبي الطيب المتنبي:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وحقا هبت على سفينة هذه اللغة وعلى تعليمها في نيجيريا فيما بعد رياح غيّرت مجراها ومرساها، وكادت تغرق في موج الاستعمار البريطاني لولا أن تداركتها نعمة من ربها. والاستعمار لا يترك رطبا ولا يابسا مما أدرك من الأنظمة تعليمية كانت أو سياسية أو اجتماعية أو دينية إلا حوَّلها إلى نظامه ولمصحته. فقد قضوا على الدولة الفودية، وسببوا ركود اللغة العربية وحلوا الإنجليزية مكانها، وحاولوا أن يكون كل نيجيري إنجليزيا لسانا، ومسيحيا دينا، وأروبيا مظهرا، وحصروا دور العربية في المساجد، والمدارس

العربية الأهلِية، ولم يتركوا للمتخرجين في هذه المدارس دورا إيجابيا فعال في المُجتمع حيث لم يكن لهم فرصة تولية المَناصب الحكومية الرفيعة المستوى. وأدى ذلك إلى انحطاط قيمة العلماء المسلمين في المجتمع، وإلى هزة عنيفة في كيان التعليمي العربي والإسلامي (Khani, 1978).

ب. الاستعمار البريطاني لنيجيريا ودسائسه على التعليم العربي

الاستعمار هو النظام السياسي الذي فرضته الدول الأوربية على الدول الإفريقية والآسوية لكى تسيطر على مواردها الطبيعية والبشرية لأغراض اقتصادية وسياسية (Alhassan, 1992, p. 12). وقد رأت الدول الأوربية البلدان الإفريقية والآسوية أرضا خصبة وغنية بالموارد الطبيعية التي تعينها على تطوير بلادها، ورأت أيضا أن الحصول عليها لا يكون سهلا إلا بالسيطرة عليها بالقوة العسكرية ففعلت. فتسابقت إلى تقسيم أفريقيا وآسيا فيما بينهم ولم ينج من ذلك إلا ليبيريا (Liberia) والحبشة (Ethiopia) . وكان جميع الدول الغربية عامة قد اشتركوا في الاستعمار إلا روسيا (Russia) والنمسا وهنغاريا (Austria-Hungary) (Indāghī, 2005, pp. 69–70). ويرجع تاريخ الاستعمار البريطانى لجزء من المنطقة المعروفة اليوم بنيجيريا إلى سنة ١٨٦١م عندما احتل الانجليزي مدينة لاغوس وأرغموا ملوكها على توقيع معاهدات معها. ثم أصبحوا يتغلغلون في هذه البلاد إلى أن سيطروا عليها كلها، فتم الاستيلاء على المناطق الجنوبية (بلاد يوربا وبنين وإتشكيرى وإيبو وغيرهم) سنة ١٩٠٠م وسموها المحمية الجنوبية، ثم تم لهم الاستيلاء في سنة ١٩٠٣م على المناطق الشمالية (ممالك هوسا وبرنو وغيرهما) وسموها المحمية الشمالية (Ghalādanthī, 1993, p. 75).

وقد أحدث استعمار البلاد وتغيير مجرى نظامها السياسي والتعليمي صراعا عنيفا بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية المسيحية. والتعليم العربي في هذا النظام لم يكن له مجال يذكر إذ لم يكن هناك مدارس أو مراكز تعليمية عربية أسست من قبل الحكومة الاستعمارية بل تركت شئون التعليم كله بأيدي الطوائف المسيحية التي قامت بمجهود كبير نحو نشر الثقافة المسيحية ودينها ولذا ابتعد المسلمون عنه (Abū Bakr, 2001). ويمكن تلخيص بعض سياسة الاستعمار التعليمية التي كان هدفها تدمير التعليم العربي العام واللغة العربية بصفة خاصة في نقاط تالية:

١. عدم اهتمامهم بالتعليم عامة وتركه تحت رعاية الكنائس مع العلم باهتمام المسلمين بالتعليم العربي الديني وفي ذلك مؤامرة واضحة لإخماد نار ذلك التعليم المتأججة في العصر الذي قبل عصرهم.
٢. جعل اللغة الإنجليزية لغة رسمية،- بدلا من العربية- فهي تستخدم في الدواوين والمكاتب الحكومية كلها عدا المحاكم الشرعية.
٣. استبدال الحروف اللاتيني بالحرف العربي في كتابة بعض اللغات المحلية كالهوسية والفلانية واليوربوية، وإلزام التلاميذ بتعلم لغاتهم وكتابتها بالحرف اللاتيني.
٤. عندما أدخلت الحكومة الاستعمارية اللغة العربية والدراسات الدينية في المواد التي تدرس في المدارس الحكومية استجابة لرغبة الأمراء وإرضاء الآباء، فإنها لم تضع في البداية منهاجا لهاتين المادتين بل

جعلت المدرسين يدرسونها على حسب ما تمليه عليهم خبراتهم الشخصية (Ghalādanthī, 1993, pp. 80–83).

٥. ومن دسائس الاستعمار على اللغة العربية ضرورة نجاح الطالب في اللغة الإنجليزية في الشهادة الثانوية أو ما يعادلها بتقدير "جيد" قبل قبوله لدراسات اللغة العربية في معظم الجامعات.

وبعد الاستقلال استمرت تلك المؤامرة ومن مظاهر ذلك ما يلي:

١. تعطيل اللغة العربية وعدم تدريسها في المرحلة الابتدائية كمادة مستقلة إلا جزء في الدراسات الإسلامية مما يحرم التلاميذ من إدراك أساسيات اللغة في تلك المرحلة.
٢. إنزال اللغة العربية في أدنى ترتيب في سياسة التعليم القومية للمرحلة الثانوية إذ قسمت المواد التي تدرس إلى ثلاثة أقسام: الأولى المواد الأساسية وهي الرياضيات، والإنجليزية، واللغات المحلية، والدراسات الدينية، والثانية المواد المهنية مثل التجارة والرسم ، والثالثة المواد غير المهنية وهي الدراسات العربية واللغة الفرنسية (Federeal of Republic Nigeria, 1988).
٣. جعل اللغة الفرنسية اللغة الرسمية الثانية بعد الإنجليزية ومن الإشارة الواضحة إلى هدف المؤامرين على اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ما قامت به حكومة الجنرال ثاني أبتشا من رفع ترتيب اللغة الفرنسية إلى مستوى اللغة الرسمية الثانية لنيجيريا، مع قلة عدد الناطقين بها بالمقرنة بالعربية.
٤. تدريس اللغة العربية باللغة الإنجليزية خاصة في بعض المؤسسات التعليمية العليا، ووقد صور العلامة الشيخ الإلوري آدم عبد الله تلك بقوله: أليس من المضحك المبكي أن تدريس اللغة العربية في هذه الجامعات بالإنجليزية؟ وأن يرشح الطالب الذي يلتحق بهذا (قسم اللغة العربية) على أساس مستواه في الإنجليزية فيدرس العربية لمدة أربع سنوات فيحصل على بَكالَوْرِيَوس ثم لا يقدر أن يتكلم بالعربية بطلاقة ولكنه بلبل صدوح في الإنجليزية (al-Ilūrī, 1988, p. 155).
٥. ومن الدسائس والمؤامرة على التعليم العربي في نيجيريا إلغاء قسم اللغة العربية في أكاديمية الدفاع النيجيرية، وحذف الحرف العربي من بعض العملات النيجيرية.
٦. قلة المدارس العربية الحكومية حيث أثبتت بعض الأبحاث التي أجراها بعض الباحثين في ولاية سكتو أن المدارس الحكومية الخاصة باللغة العربية في سكتو لا تبلغ نسبتها المئوية خمسة (al-Janārī, 2006, p. 46). وإذا كان هذا هو حال اللغة العربية اليوم في منطقة كانت فيها ذات يوم لسان الحكومة، فكيف يكون حالها في أماكن أخرى هي أقل حظا للتعليم العربي.

هكذا واجهت هذه اللغة وتعليمها مؤامرات ومكايد من أعدائها ومعارضيها من جميع النواحي. يقول حمزة عبد الرحيم إن للغة العربية أعداء من نواح شتى كل يدبر لها مؤامرات مختلفة ويقرر أن "الاستعمار البريطاني المتعفن لا يسكت، والقبيلة النيجيرية النعرة لا تهدأ، والتبشير الحاقد لا يلين في مواجهة اللغة العربية وإسقاطها (Jabd al-Raḥīm, 2006, p. 88).

ج. جهود العلماء المتحمسين لتطوير التعليم العربي

ولما تنبه مسلمو نيجيريا إلى ما يرمي إليه الحكومة الاستعمارية وعملاؤها بين المواطنين من محاولة القضاء على التعليم العربي، وذلك حين فطنوا لسياسة تعليمها الهدامة، إذ إن الرعيل الأول من أبناء المسلمين الذين التحقوا بمدارسهم رجعوا وقد نبذوا أسماءهم وسماتهم الإسلامية واعتبروها من أمارات الرجعية والتقهقر، حينئذ بذلوا كل جهود ممكنة لإنقاذ أنفسهم وأبنائهم، وعقيدتهم من تلك المؤامرات والمكايد. وهذه الجهود أتت من جانبين؛ جانب أهل الشمال وجانب أهل الجنوب.

١. في شمال البلاد

كان التعليم العربي نظاما معروفا ومألوفا لدى الشعب والأمراء والحكام في شمال، لأن به تثقفوا وتعلموا وأصبح معظمهم محترمين يحتلون مناصب مرموقة في مجتمعهم، ولذا كان القائمون بجهود تطوير اللغة العربية وتعليمه في المنطقة طبقة من علية القوم من الأمراء والسلاطين والسياسيين، وكان من جهودهم وما نتج فيها من النتائج ما يلي:

أ) إجبار الحكومة على إنشاء مدارس عربية حديثة لتخريج القضاة والكتبة في المحاكم الشرعية، فأنشئت في كل من كنو وسكتو مدرسة الشريعة الإسلامية وكان الطلبة يتعلمون فيها اللغة العربية والشريعة الإسلامية على المذهب المالكي، ثم فتحت في كنو مدرسة أخرى سنة ١٩٣٤ سميت مدرسة الشريعة الكيرى، وكانت أول من نوعها في غربي أفريقية.

ب) انتقد أعضاء البرلمان الشماليون عندما وضع الدستور الجديد لسنة ١٩٥١م سياسة الحكومة الاستعمارية نحو التعليم العربي والإسلامي، وكانت نتيجة هذا الانتقاد أن وافقت الحكومة على تطوير وتوسيع مدرسة العلوم العربية بكنو إلى كلية مستقلة غير تابعة لجامعة إبادن كما اقترح من قبل. وتقديم المنح للدراسات العليا لنفر من طلبة المدرسة المذكورة المتخرجين منها ليتخصصوا في اللغة العربية والدين الإسلامي، وتنظيم المدارس القرآنية ومساعدتها.

وفي الجنوب: (يقصد بذلك في هذا البحث ما في جنوب نهر النيجير مما في ذلك ولايتي كوارا وكوغي وجميع ولايات الجنوب) كانت هناك جهود جبارة لإنقاذ التعليم العربي من مخالب الاستعمار وعملائه، وقد جاءت هذه الجهود معظمها من أفراد وجماعات إسلامية، إذ ليست هناك قوة قوية تحمي اللغة العربية وتعاليمها من الملوك والسياسيين في المنطقة كما كانت الحال في الشمال، لذا قام بالمهمة أفراد من العلماء المتحمسين للإسلام، والجمعيات الإسلامية الغيورون على لغة دينهم التي يستعملونها في عباداتهم يوميا.

قامت الجمعيات الإسلامية بالذود عن الإسلام وعن تعاليمه، ولم تترك خطوة لتطوير التعليم العربي الإسلامي إلا خطتها فأسهمت بذلك إسهاما كبيرا في تطوير وتوسيع نطاق التعليم عامة والعربي منه على وجه الخصوص في المنطقة. وعلى سبيل المثال إن دور جماعة أنصار الدين التي أُسِّستْ بمدينة لاغوس في ٢١ من ديسمبر ١٩٢٣م في نشر العلم وتثقيف أبناء المسلمين واضح وضوح الشمس، أبرز هذه الإسهامات تأسيس المدارس التي تجمع بين العلوم الغربية والعربية والإسلامية حيث أسست مدارس ابتدائية وثانوية

في معظم القرى والمدن في بلاد اليوربا، كما أسست كلية التربية في مدينة لاغوس لتدريب المعلمين، وأنشأت جامعة سمتها "جامعة سَوْمِتْ" (Sumit University) في مدينة أوفا بولاية كوارا . ومن أوائل الجماعات الإسلامية التي لها دور بارز في تطوير التعليم في نيجيريا جماعة أنصار الإسلام التي أسسها الشيخ محمد كمال الدين الأدبي في مدينة إلورن في ٢٨ من يناير ١٩٤٢م، وهي الأولى من نوعها في شمال نيجيريا، إذ منها اقتبس رئيس وزراء شمال نيجيريا الأسبق الحاج أحمد بلو فكرة تأسيس جماعة سماها "جماعة نصر الإسلام" عقب زيارة قام بها إلى إلورن عام ١٩٦٢م. وللجماعة إنجازات عظيمة في نشر التعليم العربي والغربي حيث أسست مدارس ابتدائية وثانوية متعددة ومعاهد عربية كثيرة في ولاية كوارا وغيرها، وهي حاليا تعمل جاهدة لتأسيس جامعتها باسم مؤسسها "جامعة محمد كمال الدين بإلورن". وكان مؤسس هذه الجماعة أول من تعاون مع مشيخة الأزهر بالقاهرة لتأسيس المعهد الديني الأزهري بمدينة إلورن عام ١٩٦٣.

ومن الأفراد الذين لهم جهود بارزة في إنقاذ التعليم العربي في نيجيريا العرب التجار الذين مدّوا أيدي المساعدة إلى بعض العلماء في مدينة لاغوس لتطوير التعليم العربي الإسلامي، وكان من هؤلاء مصطفى أفندي المتوفي عام ١٩٠٤م، وعبد الكريم الطرابلسي المتوفى عام ١٩٢٢م، وكانا يدرسان النيجيريين في بعض المدن في الجنوب الغربي الدين الإسلامي والتعليم العربي (Abū Bakr, 2001).

ومن الذين لهم دور بارز في ذلك النضال العلماء المستعربون النيجيريون الذين وضعوا اللغة العربية وآدابها على أساس صلب بتأسيس المدارس العربية الحديثة التي بها بدأت النهضة الحديثة للعربية وآدابها التي نشاهدها في نيجيريا عامة وفي جنوبها بصفة خاصة في العصر الحاضر. وفي مقدمة هؤلاء العلماء الواعظ المجدد الذي أخرج التعليم العربي من طور التقليد إلى مرحلة التجديد والتطوير الشيخ محمد كمال الدين الأدبي الذي طور المدرسة الأدبية التي ورثها من أستاذه الشيخ محمد اللبيب تاج الأدب المتوفى ١٩٢٤م، وذلك بعد عودته من الحج سنة ١٩٣٨م. فقد أجاز لطلابه استعمال السبورة، والدفاتير، والجلوس على المقاعد، والقراءة في الكتب المصورة مما جعل بعض العلماء المعاصرين له أن ينهضوا ضده ظانين أن ما جاء به في التعليم العربي الإسلامي بدعة مضرة للإسلام ولتعاليمه، لكن الله أيده بنصره. وكان من مجهوداته تأسيس أول معهد أزهري في إفريقيا الغربية الذي أسسه بالتعاون مع الأزهر الشريف بمصر عام ١٩٦٣م. ثم ظهر بعد ذلك المجاهد الكبير العلامة الإلوري الشيخ آدم عبد الله الإلوري فأسس مدرسته التي سماها "مركز التعليم العربي الإسلامي" عام ١٩٥٢م بأبيأوكوتا ثم نقلها إلى أغيغي بلاغوس. كذلك كان الشيخ خضر بن صلاح الدين أَبَأَوْكَغِي الذي أسس المعهد العربي الأدبي بمدينة أَوْوَوْ في ولاية أَوْنْدَوْ عام ١٩٥٥م من أوائل العلماء في هذا المجال. كما أن الشيخ مرتضى بن عبد السلام الذي أسس المعهد العربي النيجيري بمدينة إبادن عام ١٩٥٧م ممن له إسهام كبير في التعليم العربي في الجنوب الغربي (Oladosho, 2001, p. 16). وممن لا ينسى من العلماء الأوائل في هذ الصدد الشيخ إبراهيم إنْوَغُوَيْ الذي أسس بتعاون مع رابطة العالم الإسلامي بمكة "المعهد الإسلامي للدراسات العربية والإسلامية" (الوحيد من نوعه في الجنوب الشرقي) بِأَنَوْفِيَا، أَفِيبَوْ بِولِايَةِ أَيْبَوْيِن Eboyin.

وتعتبر هذه المدارس وغيرها مما لا يمكن الإحاطة بها وإحصائها في صفحات هذه المقالة المتواضعة إذ هي منتشرة في جميع القرى والمدن في البلاد وهي أهم المؤسسات للتعليم العربي في نيجيريا وعليها تعتمد المؤسسات التعليمية العليا التي تدرس اللغة العربية. وعن فضل هذه المدارس يقول أولادوشو: "ولهذه المدارس(المدارس العربية الخصوصية) فضل عظيم في تثقيف المسلمين وفي إرشاد أبنائهم سواء السبيل... وأن هذه المدارس تمثل الأساس الصلب الذي يبني عليه خريجوها ما بقي من مستقبل حياتهم الدراسية والثقافية".

وكان من المجهودات المحمودة التي قام بها مسلمو نيجيريا وخاصة الجنوبيون مطالبتهم من الاستعمار بتغيير سياسته التعليمة، وكانت جماعة مسلمي لاغوس أول من أظهروا عدم رضاهم بسياسة التعليم المتروكة في أيدي الكنائس. وكان من مظاهر غضبهم الابتعاد عن المدارس التي أسستها الطوائف المسيحية ومطالبة بالحكومة الاعتراف بحق المسلمين بتأسيس المدارس الخاصة بهم. وكانت نتيجة هذا الطلب أن اضطرت الحكومة إلى تكوين لجنة سنة ١٨٨٩م للنظر في المشكلة، وجاءت اللجنة باقتراحات منها:

أ) تشجيع المدارس التبشيرية لإدخال اللغة العربية في منهجها مع إعطائهم منحة خمسين جنيها لتيسير ذلك الاقتراح.

ب) تطوير المدارس العربية لتتضمن بعض المواد الإنجليزية.

ج) وأخيراً تأسيس مدرسة إنجليزية خاصة للمسلمين في مدينتي لاغوس وأيبى EPE .

وحقا أسست في مدينة لاغوس مدرسة غير مسيحية للمسلمين وكانت العربية من ضمن المواد الأساسية التي تدرس فيها، وذلك حسب ما ورد في تقرير ناظر المدرسة حيث يقول " إن العربية تدرس عن طريق ترجمة معاني كلماتها إلى اللغة اليوربوية (Gbdamosi, 1993: 26).

ومن خير مجهود بذل في هذا السبيل ما قام به السياسيون والأمراء والمتحمسون للتعليم العربي في الشمال بإجبار الحكومة – الاستعمارية منها والوطنية- على الاعتراف بالمدارس القرآنية والمعاهد العربية والإسلامية التى أسسها أفراد وجماعات وإدخالها في نظام تعليمها العام، وقد نجحوا في ذلك نجاحا كبيرا، فبعد دراسته التقارير والاقتراحات التي قدمتها اللجان الحكومية المختلفة شرعت الحكومة في تنظيم هذه المدارس والمعاهد وتقديم للها المساعدات المادية والمعنوية لها.

وبهذا الاعتراف وتلك المساعدات الحكومية لهذه المدارس ظهرت في نيجيريا ثنائية التعليم أي وجود نظامين مختلفين في الفلسفة والمنهج والهدف والأداء العام، وهما المدارس القرآنية/ المعاهد الخصوصية والمدارس المدنية الحكومية، فالمدارس القرآنية والمعاهد العربية الخصوصية هي التي أسسها الأفراد من العلماء، وتهدف إلى التعليم العربي لغرس الثقافة العربية الإسلامية بوسيلة اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية، بينما تملك الحكومة المدارس المدنية وتهدف إلى التعليم المدني والثقافات الغربية بوسيلة اللغة الإنجليزية.

ولسد الفجوة الموجودة بين النظامين أدخلت حكومات الشمال المواد المدنية في المدارس القرآنية والمعاهد العربية الإسلامية، وضمنت مواد عربية ودينية في مناهج المدارس المدنية الحكومية. أما في الجنوب وإن كان التعليم العربي والإسلامي قد ضمن رسميا في نظام التعليم العام، فإن المدارس القرآنية والمعاهد العربية الخصوصية قد تركت كرعية بلا راع تئن تحت مشكلات عويصة ترهقها من المضي قدما.

٢. التعليم العربي في المدارس الحكومية

ومن المجهودات الناجحة التي سجلت للنيجيرين الغيوريين على اللغة العربية وتعليمها تضمين اللغة العربية في النظام التعليمي النيجيري العام، وبذلك أصبحت العربية مادة مقررة في المرحلة الثانوية الحكومية إلا أن مستواها ضئيل جدا من حيث الأداء التعليمي لدى المدرسين، والتحصيل العلمي لدى الطلاب، إذ تدرس في بعض الأحايين باللغة الإنجليزية، وما التعليم العربي فيها إلا مادة واحدة في حصة واحدة أو حصتين في الأسبوع.

٣. التعليم العربي في الكليات والجامعات:

من فضل الله تعالى على التعليم العربي في نيجيريا ونتيجة المجهودات المبذولة من قبل المتحمسين والراغبين في اللغة العربية السماح بتدريس اللغة العربية كمادة تخصصية في المؤسسات التعليمية العليا وإنشاء أقسام اللغة العربية في كليات التربية، وكليات الدراسات العربية والشريعة الإسلامية، والجامعات. فالعربية في هذه المؤسسات التعليمية تتمتع بجو منظم تنظيما عصريا بحيث تتوفر فيه جميع ما يتطلبه التعليم في الحياة المعاصرة من مبان حديثة، ومناهج دراسية منظمة، ووسائل تعليمية حديثة، ومدرسين أكاديميين أكفاء، وغير ذلك مما يحتاج إليه التعليم العصري.

٤. التعليم العربي في نيجيريا في طور الازدهار

وبعد أن مرت اللغة العربية وتعليمها في نيجيريا بمراحل وأطوار مختلفة عبر العصور من نشأة، وتطور، وضعف، وقوة، أصبحت في الوقت الحاضر في أوج مجدها وأصبح المثقفون بها ينافسون أقرانهم المتخصصين في الثقافة الغربية في معظم الجوانب الحياتية، وذلك لعوامل كثيرة ساعدت على تطويرها وتعليمها ومن هذه العوامل:

أ) تأسيس المدارس العربية الخصوصية وتطويرها على طراز العصر الحديث، ومنح خريجيها فرصة التقدم الدراسي في الجامعات في الدول العربية.

ب) وجود كتب عربية حديثة في العلوم الأدبية واللغوية وغيرهما في المكتبات العامة والخاصة.

ج) رجوع البعثات العلمية المتخصصين في العربية وآدابها والدراسات الإسلامية من الجامعات في الدول العربية، بخلفيات قوية في الدراسات العربية وآدابها والإسلامية.

د) فتح الجامعات الحكومية أبوابها أمام خريجي المدارس العربية الخصوصية لمواصلة دراساتهم لجامعية، وأمام خريجي جامعات البلدان العربية للإجازات لمواصلة الدراسات العليا. مما ساعد على تطوير هائل لدراسة اللغة العربية وأدبها في البلاد. وقد نتج عن الأخيرة كثرة عدد الحاصلين على درجة الدكتوراة في الدرسات العربية والإسلامية.

ه) الندوات والدوريات والسيمنارات التي تنظمها الجامعات والمؤسسات التعليمية الأخرى والجمعيات الأكاديمية كنَتَائِسْ (هي جمعية معلمي الدراسلت العربية والإسلامية بنيجيريا) وأَسَلِنْ (هي الجمعية الأكاديمية لدراسة اللغة العربية وأدابها في نيجيريا) وغيرهما، وما تصدر من هذه الندوات من الأبحاث القيمة.

و) المجلات الأكاديمية التي تنشرها المؤسسات التعليمية والجمعيات الأكاديمية وما في هذه المجلات من النتاجات الأدبية واللغوية الرفيعة المستوى.

ز) وجود الحاسوب الآلي (الكمبيوتر) التي سهّل عملية الطبع والنشر وإنتاج الكتب وغيرها.

ح) الشبكة العنكبوتية العالمية (الإنترنت) وما في ذلك من سهولة الحصول على المعلومات في اللغة العربية وآدابها.

ط) إمكانية التقاط القنوات الفضائية العربية حيث تُعلم بعض القنوات العربية وآدابها. وقد استفاد من ذلك جم غفير من أبناء نيجيريا في تطوير مستواهم العلمي في العربية، وتصقيل مواهبهم الأدبية.

ونتيجة لهذه العوامل حدث تطور هائل لا سابق له في تاريخ اللغة العربية وأدابها في البلاد، إذ نبتت البذورة العربية التي غرسها العلماء النيجيريون في العصور الأولى وترعرت فأخذت تنمو وتتطور، وبالتالي بلغت مبلغا عظيما حتى أصبح المثقفون فيها ينافسون أفرانهم المتخصصين في الثقافات الغربية التي تتلقى دعما وتقديرا حكوميا. ومن مظاهر تقدم العربية في البلاد اليوم ظهور شعر ونثر ومسرحية ورواية وكتب مدرسية وكتب مترجمة من اللغة المحلية والأجنبية إلى العربية، بالإضافة إلى تصدير أنواع متعددة من مجلات أكاديمية ناطقة باللغة العربية راقية المستوى، مع زيادة كبيرة في عدد الحاصلين على الإجازات العالية في اللغة العربية وآدابها.

يعد هذه الجودة حول التعليم العربي في نيجيريا والظروف المختلفة التي مر بها بين رفع تارة وخفض تارة أخرى، ثم رفع نسبي ثالثة. ولجلب لهذه اللغة ولتعليمها تطورا وتقدما في هذه البلاد تأتي المقالة بطائفة من الاقتراحات تمكن أن تساعد مباشرة أوغير مباشرة تطوير اللغة العربية وتعليمها في هذه البلاد:

أ) جعل اللغة العربية من المواد الإجبارية في المرحلة الثانوية

يجب أن تكون اللغة العربية (في المناطق التي أغلب سكانها مسلمون) من المواد الإجبارية التي يجب على كل طالب أن يسجل لها وينجح فيها في الثانوية المتقدمة، وأن تكون من المواد التي تدرس في الفصول المتقدمة في المراحل الابتدائية، والثانوية الصغرى (الإعدادية). إذ تفوق فوائد اللغة العربية للنيجيريين

فوائد اللغة الفرنسية أو اللغات الأوروبية الأخرى، وذلك بإعتبار الحقائق التاريخية، والثقافية، والسياسية، والدينية، والعلاقات الدولية، علما بأن الإنجليزية كفيلة بأن تؤدي كل ما يتوقع من اللغات الأوروبية الأخرى.

ب) جعل اللغة العربية لغة المحادثة في الأقسام العربية

يجب تشجيع الأقسام العربية ومدرسي اللغة العربية على جعل العربية لغة المحادثة في التعلم في الفصل الدراسي، أو خارجه. وقد آنت الأوان أن يجتنب مدرسو العربية الاعتماد على الإنجليزية أو على اللغات الأخرى لتعليم المواد العربية، وأن يستعملوا العربية في اجتماعات القسم، إما بين المدرسين أنفسهم، أو بين المدرسين والطلاب، لأن اللغة تكتسب بالمحادثة وليس بالقراءة في الكتب فقط، وعلى الأقسام العربية تأسيس حلقات أو ندوات ومناظرات ومناقشات ومسابقات تكون العربية لغة إجرئها.

ج) غرس الثقة والأمل في نفوس طلبة اللغة العربية

على المدرسين توعية دارسي اللغة العربية بأن التخصص في أي مجال من المجالات العلمية لا ينقص شيئا من قيمة المتخصص، بل المهم هو الإتقان، فإذا أتقن أحد اللغة العربية فأمامه فرص كثيرة ربما لا تتوفر لغيره، في هناك وزارات وشركات ومكتبات تحتاج إلى توظيف من يتخصص في العربية مما يدل على أن التخصص فيها له مكانة اجتماعية واقتصادية كبيرة. ويمكن الإشارة إلى أفراد كثيرين بين المواطنين يحتلون مناصب مرموقة في الوزارات الحكومية المختلفة الداخلية منها والخارجية، وذلك بفضل تخصصهم في العربية.

الخاتمة

حاولت الصفحات السابقة إلقاء الضوء على اللغة العربية وتعليمها في نيجيريا منذ ظهورها في نيجيريا إلى الوقت الحاضر، وتعرضت على تطورها الهائل في خلافة سكتو ومحاولات الاستعمار للقضاء عليها قضاء مبرما لولا أن أنقذها الله بمجهودات المتحمسين لها من العلماء، والأمراء، وذوي المناصب الحكومية والجماعات الإسلامية إلى أن وجدت لنفسها مكانا في النظام التعليمي النيجيري العام في جميع مراحلها المختلفة، وأصبح للمتخصصين في اللغة العربية وآدابها صوت يُسمع لا يستهان به في المجتمع. وأشارت إلى أن هناك مجالات كثيرة يجب النظر فيها بقصد إزالة العراقيل التي تقف حجر عثرة أمام تقدم التعليم العربي والإسلامي في البلاد. واختتمت بعدة توصيات واقتراحات كفيلة لإزالة تلك العراقيل والعوائق حنى يصبح هذا التعليم مفخرا للعالمين في حقله.

المراجع

Abū Bakr, D. 'A. R. (2001). Ḥādir al-lughah al-'Arabīyah fī Nījīriyā. *Majallat Natā'is, 6*(1).

Alhassan, A. B. (1992). *Nigeria nationalism in perspectives.* Zaria: Tamaza Publishing Company.

Al-Ilūrī, A. 'A. (1978). *al-Islām fī Nījīriyā wa-al-Shaykh Uthmān ibn Fūdiyu al-Fulānī*. Ejigbo – Lagos.

Al-Ilūrī, A. 'A. (1988). *al-Islām al-yawm wa-ghadān fī Nījīriyā*. Cairo: Maktabah Wahbah.

Federal Republic of Nigeria, *National Policy on Education,* Abuja, 1988.

Gbadamosi T. G. O. (1993). *The growth of Islam among the Yoruba 1841*–1903. Bristol: Western Printing Services Limited.

Ghalādanthī, Sh. A. S. (1993). *Ḥarakat al-lughah al-'Arabīyah wa-Ādābuhā fī Nījīriyā min sanat 1804 M – 1966 M*. Riyad: al-Maktabah al-Ifrīqīyah.

Indāghī, M. 'U. (2005). Khaṣā'iṣ al-ḥaḍārah al-gharbīyah wa-athāruhā fī al-thaqāfah al-'Arabīyah al-Islāmīyah fī Nījīriyā. *Majallat Natā'is, 8*.

Jabd al-Raḥīm, H. (2006). al-Lughah al-'Arabīyah fī ẓill al-ṣirā'āt al-lughawīyah wa-al-thaqāfīyah fī Nījīriyā. *Majallat Natā'is, 9*.

Johnson, S. (1921). *History of the Yorubas*. London: Lower Brydone Printing Ltd.

al-Janārī, Ṣ. B. (2006). Sulūk al-mar'ah tijāh al-ta'līm al-'Arabī fī Nījīriyā: Mashākil wa-ḥulūl. *Majallat Natā'is, 9*.

Kilani, M.A. (1985). *The intellectual origin of Sokoto jihad,* Ibadan: Iman Centre.

Oladosho, 'A. Gh. (2001). Ḥājat al-madāris al-'Arabīyah al-khuṣūṣīyah bi-bilād al-Yūrbā ilá taḍmīn lughatay al-Yūrbawīyah wa-al-Injlīzīyah. *Majllat Natā'is, 1*(6).

Ozigi, A., & Ocho, L. (1981). *Education in Northern Nigeria*. London: George Allen and Unwin.

Sanūsī, M. Z. (1987). *Azhār al-ribā fī akhbār bilād Yūrubā*. Isolo, Lagos: Dār al-Da'wah wa-al-Irshād.

www.ansarud-deen.org.ng